جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة القادسية

كلية الآداب

قسم الآثار

عمارة وتخطيط المدرسة المستنصرية

بحث قدمته الطالبة (زينة بدري لفتة) الى مجلس كلية الآداب – جامعة القادسية ـ قسم الآثار كجزء من متطلبات درجة البكالوريوس في الآثار

بإشراف

د. رجوان فيصل الميالي

١٤٣٨هـ

٢٠١٧م

المقدمـــــــــــة

المستنصرية مدرسة عريقة أسست في زمن الدولة العباسية في بغداد عام ١٢٣٣ على يد الخليفة المستنصر بالله، وكانت مركزا علميا وثقافيا هاما. تقع في جهة الرصافة من بغداد ، شيدت "المستنصرية" على

مساحة ٤٨٣٦ متراً مربعاً تطل على شاطئ نهر دجلة بجانب "قصر الخلافة" بالقرب من المدرسة النظامية، وكانت تتوسط المدرسة نافورة كبيرة فيها ساعة المدرسة المستنصرية، وهي ساعة عجيبة غريبة تعد شاهداً على تقدم العلم عند العرب في تلك الحقبة من الزمن تعلن أوقات الصلاة على مدار اليوم ، وتتألف المدرسة من طابقين شيدت فيهما مائة غرفة بين كبيرة وصغيرة إضافة إلى الأواوين والقاعات.

وقد عنيت هذه المدرسة بدراسة مختلف العلوم النقلية والعقلية على نحو لم يسبق من قبل في غيرها وكانت مدة الدراسة في المستنصرية عشرة أعوام وتضم عدة أقسام منها علوم القرآن والسنة النبوية والمذاهب الفقهية والنحو وعلم الفرائض والتركات ومنافع الحيوان والفلسفة والرياضيات والصيدلة والطب وعلم الصحة وهي أول جامعة إسلامية جمعت فيها الدراسة الفقهية على المذاهب الاربعة (الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي) في "مدرسة واحدة" أما المدارس الفقهية التي قبلها فأختصت كل واحدة منها بتدريس مذهب معين من هذه المذاهب، وبعد انتهاء الدراسة يمنح الطالب شهادة التخرج التي تؤهلهُ التوظف في دواوين الدولة، وكان يتولى إدارة المدرسة المستنصرية ناظر يختار من بين كبار موظفي الدولة يعاونه عدد من المساعدين، ويأتي في مقدمتهم المشرف وهو كالمراقب المالي أو المفتش المالي والكاتب والخازن، وعدد من العمال والخدم الذين يخدمون المدرسين والطلاب، ويعد عبد الرحمن التكريتي أول من تولى منصب نظارة المدرسة المستنصرية؛ حيث عين في اليوم التاسع من شهر رجب سنة ٦٣١ هـ/ ١٢٣٣م.

ظل التدريس قائما في المدرسة المستنصرية لمدة أربعة قرون منذ أن أفتتحت في سنة (٦٣١ هـ/١٢٣٣م) حتى سنة (١٠٤٨ هـ/١٦٣٨م)، وان تخلل ذلك فترات انقطاع، ولقد كانت الفترة الأولى في أثناء الاحتلال المغولي لبغداد سنة (٦٥٦ هـ/١٢٥٨م) وتوقفت الدراسة فيها قليلاً، ثم عاد إليها نشاطها من جديد؛ حيث استؤنفت الدراسة في نفس السنة، وظلت الدراسة قائمة بالمدرسة المستنصرية بانتظام بعد سقوط بغداد نحو قرن ونصف من الزمن.

توقفت الدراسة بها وبغيرها من مدارس بغداد؛ بسبب تدمير تيمورلنك لبغداد مرتين الأولى سنة (٧٦٥ هـ/١٣٩٢م) والأخرى في سنة (٨٠٣ هـ/١٤٠٠م)؛ حيث قضى تيمورلنك على مدارس بغداد ونكل بعلمائها وأخذ معه إلى سمرقند كثيراً من الأدباء والمهندسين والمعماريين، كما هجر بغداد عدد كبير من العلماء إلى مصر والشام وغيرها من البلاد الإسلامية، وفقدت المدرسة المستنصرية بعد هذه الهجمة الشرسة مكتبتها العامرة، وظلت متوقفة بعد غزو تيمورلنك نحو قرنين من الزمن حتى أفتتحت من جديد للدراسة عام (٩٩٨

هـ/١٥٨٩م)، ولكن لم يدم ذلك طويلاً إذ عادت وأغلقت أبوابها في عام (١٠٤٨ هـ/١٦٣٨م)، ومن ثم فتحت مدرسة الآصفية في مكانها، وكانت مدرسة الآصفية من مرافق المدرسة المستنصرية، وجدد عمارتها الوزير داود باشا والي بغداد في عام (١٢٤٢ هـ/ ١٨٢٦م)، وسميت بالآصفية نسبة إلى داود باشا الملقب بآصف الزمان.

المبحث الاول

لمحة مختصرة عن تاريخ المدارس الاسلامية وعن تاريخ المدرسة المستنصرية

عرفت هذه المدرسة بـ (المستنصرية) بأسم مؤسسها (المستنصر بالله) أبي جعفر المنصور الخليفة العباسي السابع والثلاثين الذي دامت خلافته من سنة ٦٢٣ الى ٦٤٠ للهجرة (١٢٢٦ – ١٢٤٢) .

وتسمية المدارس في العصور الاسلامية بأسماء مؤسسيها كان من الامور الشائعة المعروفة : فهناك مثلاً المدرسة (النظامية) التي فرغ من ثبائها الوزير نظام الملك (١). ببغداد سنة ٤٥٩هـ (١٠٦٦م) والمدرسة التاجية ببغداد المنسوبة الى تاج الملك أبي الغنائم المرزيان بن خرو فيروز المتولي لتدبير دولة ملك شاه بعد الوزير نظام الملك والمدرسة (الشرابية) التي أنشأها شرف الدين إقبال الشرابي بواسط سنة ٦٣٢هـ (١٤٣٤م) ، غير ذلك من المدارس التي ليس من غرضنا ذكرها في هذا المقام غني عن البيان ، ما كان مؤسسها العظيم من حميد الصفات جميل الذكر في التاريخ ، فهو الخليفة (ابو جعفر المنصور المستنصر بالله) العباسي ، أبن النظام يا أمر الله ، وحفيده الناصر لدين الله ، ولد المستنصر بالله سنة ٥٨٨هـ (١١١٢م) وبويع بالخلافة يوم وفات أبيه في الثالث عشر من شهر رجب سنة (١٢٢٦م) فنشر

العدل بين رعاياه ، وحري اليه أهل العلم والدين ، وأنشأ المساجد والمدارس

---

١. أبن خلكان ، وفيات الاعيان ، طبعة يولاق ، مصر ، ١٢٧٥ هـ ، ص٢٥٢.

والمارستات والخانات للسايلة ، وغير ذلك من المرافق العمرانية العامة التي سطرت أسمه بين الخالدين والذي يؤسف عليه أن غير واحد من هاتكي المأثر من سطت عليه يد الدهر ففوضه واندثرت معالمه ولم يبقى منها اليوم الا بعضها ، والذي ينطق بعظم صاحبه ، وفي طليعة ذلك (المدرسة المستنصرية) ببغداد وثانيها (قنطرة حربي) (١)، وهي على نحو تسعين كيلومتراً من شمال بغداد ، تقوم

فوق عقيق نهر (الدجيل) المندرس بمحاذاة طريق السيارات الممتدة بين بغداد وسامراء ويؤخذ من الكتابة المدونة في جبهتي هذه القنطرة ، أن المستنصر بالله أقامها سنة ٦٢٩هـ (١٢٣١م) ومن المآثر أيضاً (خان الخرتيشي)(١)، الذي ترى أطلاله الى اليوم على يمين دجلة بين تكريت واليلاليق للذاهب الى الموصل ، دامت خلافة المستنصر زهاء سبعة عشر سنة أي الى وفاته سنة ٦٤٠ هـ (١٢٤٢م) فتولى الخلافة من بعده أبنه المستعصم بالله آخر خلفاء بني العباس ببغداد ، وللمستنصر أخبار حُسان كثير لا يسعنا أستيعابها في هذا البحث ولأبن الساعي المؤرخ البغدادي الشهير كتاب قائم برأسه في حياة هذا الخليفة وأسماه بـ (اعتبار المستبصر في حياة المستنصر) ، لعبت به يد الزمن فلم ينته أليا ، ومع ذلك فأن المؤرخين الاقدمين غير أبن الساعي قد وفوا حياة المستنصر حقها من البحث في

تأليفهم المختلفة.

١. الحموي ، ياقوت ، معجم البلدان ، طبعة وتسفتلد في السيك ،ص٨١٠.
٢. أبن الفوطي ، د. مصطفى جواد ، طبعة بغداد ، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة ، ص٧١.

ذكر أبن الفوطي أن البدء بتأسيس هذه المدرية كان في سنة ٦٢٥هـ (١٢٢٧م) وكان المستنصر بالله أمر بأنشائها ، وقد تولى عنايتها أستاذ الدار مؤيد الدين ابو طالب محمد بن العلقمي (١).

لا حاجة بتأكيد القول ، أن المستنصر بالله لما أعتزم على انشاء هذا الصرح العلمي الخالد ، لا بد أستقدم له أمهر المهندسين وأحذقهم ، فأستفرغوا ما في وسعهم في وضع قياساتها وتخطيط أبعادها ثم ركب البناؤون والصناع على إقامة البناء وزخرفته وتجميله بالكتابات وأستمروا على ذلك بضع سنين حتى تكاملت في جمادي الأخرة في سنة ٦٣١هـ (١٢٣٤م) (٢).

١. الأوسي ، يعقوب سركيس ، مقال ، تاريخ مساجد بغداد وأثارها (ص٩٨ الحاشية) ومقال يعقوب سركيس (المدرسة المستنصرية) في جملة لغة العرب (٦) ، ١٩٢١، ص٣٥٧ – ٣٥٨.
٢. الحوادث الجامعة ، ص٥٣ – ٥٤ .

المبحث الثاني

تخطيط وعمارة المدرسة

من يلقي نظرة عامة على هذه المدرسة يجدها مستطيلة الشكل طولها يوازي مجرى دجلة وهو يبلغ الآن ١٠٤,٨٠ متراً مربعاً ، عرضها من الجهة الشمالية ٤٤,٢٠ متراً ، ومن الجهة الجنوبية ٨٤,٨٠ متراً فتكون

مساحة المدرسة بالاستناد الى هذه الابعاد ٤٨٣٦ متراً مربعاً هذا بأستثناء الرصيف الحالي الذي يمتد حيالها على النهر الى مسافة معدلها ١١,٨٠ متراً فمساحة هذا الرصيف تبلغ ١٢٢٧,٢٠ متراً مربعاً وقد روعي في بناء هذه المدرسة أن تكون مشتملاتها كإطار يحيط بها فالحجر والغرف والأواوين والأروقة وغير ذلك من المباني تحف بها من جهاتها الاربع ويتوطها صحن طويل فسيح أبعاده ٦٢,٤ × ٢٧,٤٠ متراً ، أن الرقعة المغطاة بالبناء من هذه المدرسة تبلغ مساحتها ٣١٢٦ متراً مربعاً فهي مما تستوعب كل مستلزماتها المدرسة نحو حجر الدرس والنوم والطعام وخزانة الكتب والادوية والخازن الاخرى والمطبخ وغير ذلك مما سنأتي بذكره ، تتألف المدرسة من طابقين في كل منهما طائفة كبيرة من الغرف والقاعات ، اما الأواوين فأرتفاعها بأرتفاع الطابقين ولا يمكننا أن نعين في الوقت الحاضر أرتفاع البناء بطابقيها بالنظر الى أن مستوى فرش (أرضية المدرسة قد تغير كثيراً عما كان عليه في أيام عزها فالاتربة والاوساخ قد تراكمت وتكدست في كل مكان منها حتى أضحى تعيين المستوى الحقيقي لأرض المدرسة مقتدراً ما لم يجري تنظيفها بوجه يعيدها الى سابق حالها مهما يكن من آمر فأن الارتفاع التقريبي للبناية بطابقيها معاً يبلغ زهاء ١٠ أمتار).

كان المشروع في تشييد المستنصرية سنة ٦٢٥هـ (١٢٢٧م) وتكاملها في جمادي الاخرة سنة ٦٣١هـ (١٢٣٣م) كما ذكرنا سابقاً . فلما تكاملت (ركب نصير الدين (ابو الازهر أحمد أبن الناقد) نائب الوزارة في يوم الاثنين الخامس عشر من جمادي الاخرة وقصد دار الخلافة واجتاز بها الى دجلة ونزل في شيارة (١) ، من باب اليسرى (بدار الخلافة أيضاً) وصعداً الى الدار (٢)، المستجدة المجاورة لهذه المدرسة وصعد اليها وقبل عتبيها ودخلها وطاف بها ودعا لمالكها وكان معه أستاذ الدار مؤيد الدين أبو طالب محمد بن العلقمي وهو الذي تولى عمارتها (كما أشرنا اليه) ثم عاد متوجهاً الى داره في الطريق الذي جاء بها وخلع على أستاذ الدار وعلى أخيه (علم الدين أبي جعفر احمد بن العلقمي) وعلى حاجبه عبد الله بن جمهور وعلى المعمار والفراشين المدنيين في الدار المذكورة المستجدة وعلى مقدمي الصناع ونقل هذا اليوم الى المدرسة من الريعان (٣) الشريفة والكتب النفيسة

---

١. الشيارة : ضرب من السفن النهرية في العراق ايام العباسيين .
٢. سنتكلم عن هذه الدار في موضوع مرافق المدينة .
٣. الريعان : واحدتها ريعة وهي علامة في تاج العروس (٥ : ٣٤٣) بمعنى صندوق فيه اجزاء المصحف الكريم وهي مولده لا تعرفها العرب بل هي أصطلاح أهل بغداد .

المحتوية على العلوم الدينية والادبية ما حمله مائة وستون حمالاً ، وحملت في خزانة الكتب (١)، وتقدم الى (٢) الشيخ عبد العزيز أبن دلف الناسخ الصوفي شيخ رباط الحريم بالحضور بالمدرسة وأثبات (٣) الكتب وأعتبارها ، والى ولده العدل ضياء الدين احمد الخازن بخزانة كتب الخليفة التي في داره أيضاً فحضر وغيرها ورتبها أحسن ترتيب مفصلاً لفنونها ليسهل تناولها ولا يتغير مناولها وفي بعض هذه الايام حضر الخليفة وحضر الشيخ عبد العزيز بين يديه وسلم عليه وأعقب دعاءه بأن تلى قوله تعالى (تبارك الذي أن شاء جعل لك خيراً من ذلك جنان تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا)(٤)، فبدى خشوع الخليفة وتقاطرت دموعه (٥)،

---

١. أنظر : الفعل المعنون (خزانة الكتب) من هذا البحث .
٢. تقدم الى : بمعنى أمر
٣. أثبات الكتب : أي كتابة أسمائها في دفتر أو ثبت .
٤. سورة الفرقان : الآية ١٠.
٥. الحوادث الجامعة ، ص٥٣ ــ ٥٥ .

وما أوردنا ذكره من الاخبار لم يكن في الحقيقة الا تمهيداً لحفلة افتتاح المدرسة افتتاحاً رسمياً يناسب مقام هذه المدرسة وقد وصف أبن القوطي هذه الحفلة وصفاً رائعاً بقوله (وفي يوم الخميس خامس شهر رجب ٦٣١هـ (١٢٣٣م) حضر نصير الدين نائب الوزارة وسائر الولاة والحجاب والقضاة والمدرسون والفقهاء ومشايخ الربط والصوفية والوعاظ والقراء والشعراء والجماعة من أعيان التجار القرباء الى المدرسة) .

وتغير لكل مذهب من المذاهب وغيرها أثنان وستون نفساً ، ورتب لها مدرسان ونائب تدريس ، أما المدرسان فمحيي الدين أبو عبد الله محمد بن يحيى ين فضلان الشافعي ، ورشيد الدين أبو حفص عمر بن محمد الفرغاني

الحنفي ، وخلع على كل واحد منها جبة سوداء وطرحة كحلية وأمضى بقلة بمركب جميل وعدة كاملة وأما النائبان فجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن يوسف بن الجوزي الخبلي ، نيابة عن والده لأنه كان مسافراً في بعض مهام الديوان ، والآخر أبو الحسن علي المغربي المالكي ، وخلع مخلع على كل واحد منهما قميص وصحن وعمامة قصب ، ثم خلع على جميع المعيدين ، وهم لكل مذهب (ريعة) خلعاً بالحكاية ، ثم خلع على المتولين للعمارة والصناع والحاشية وعلى المعينين للخدمة بخزانة الكتب وهم الشمس علي بن يوسف بن سعد ، والعماد علي بن الدياس المشرف ، والجمال إبراهيم بن حذيفة المناول ، ثم مد سماط في صحن المدرسة أجمع فكان عليه من

الاشربة والحلوى وأنواع الاطعمة ما يجاوز حد الكثرة (١)، فتناوله الحاضرون تعبئة وتكويراً ثم أفيضت الخلع على الحاضرين من المدرسين ومشايخ الربط والمعيدين في المدارس والشعراء والتجار القرباء ثم أنشد فيها الشعراء المدائح فيها.

هذا بناء معرب عن قدره رفعت قواعده بفعل مطهر

حسدت به الارض السماء ولم يزل حسد الفضائل في طباع القصر

أنظر نجد نظم الثريا من ذرى شرفاءه وضياء نور المشتري

ضحك الزمان فداك بعد عبوسة ورأى الصواب وذاك بعد تحير

فالأفق بين مفضّض ومذهّب والجو بين مكوفر ومعنبر

والأرض حاسرة القناع كأنها خود تبرج فجرداء أخضر

تزهو بما عمّر الخليفة فوقها علماً لأحكام البشير المنذر

بالجانب الشرقي بالشاطئ الذي هو طور سينا كل صاحب منبر

---

١. قال أبن كثير (البداية والنهاية ١٣ : ١٤٠) بهذا الصدد وعمل سماط عظيم بها (أي بالمستنصرية) أكل منه الحاضرون وحمل منه الى سائر دروب بغداد من بيوتات الخواص والعوام .

وأورد بعدة جماعة كثيرة ثم ذكر المدرسان المقدم ذكرهما كل واحد منهما على سدته ، والنائبان كل واحد منهام تحت السدة ثم قسمت الارباع فسلم ربع القبلة الأيمن الى الشافعية والربع الثاني يسار القبلة للحنفية والربع الثالث يمين الداخل للحنابلة والربع الرابع يسار الداخل للمالكية ، ولسكنة بيوتها وغرفها ويجري لهم الجراية الوافرة عملاً بشرط الوقوف ثم نهض نصير الدين وأرباب الدولة والحاضرون وكان يومئذ الخليفة جالساً في الشباك الذي في صدر الايوان بنظر جميع ما جرت الحالة عليه).

المبحث الثالث

مواد بناء المدرسة المستنصرية

١. الأجر :

استعمل الأجدر كمادة انشائية في العمارة الحرافية بعد معرفة الانسان العراقي لمادة اللبن بـ (٣٠٠٠) ق.م ، فقد عرف لأول مرة في منشأت الطبقة الخامسة لموقع الوركاء في العصر الشبيه بالكتابي والذي أقتصر أستعماله في البداية على تشييد مرافق محدودة في الارضيات فقط ومن ثم أستعمل في بناء الجدران في عصر فجر السلالات (١)، حيث ما يقارب من (٣٠%) من الرمل وأن الهدف من ذلك هو تقليل التقلص الذي يحدث عند الحرق حيث يعرض اللبن المقولب الى عملية الشب داخل افران خاصة تسمى الكور (٢)، ويتميز الأجر بخفة الوزن والصلابة والشكل المتجانس وعدم التأثر بالرطوبة والمياه وأعادة استعماله في أبنية مختلفة بعد قلعه من أبنية سابقة وأمكانية الحفر والزخرفة الهندسية وكذلك يستعمل لبناء أصعب العناصر المعمارية كالعقود والمقرنصات والأقبية (٣).

---

١. الدليمي ، عادل عبد الله ، مواد الانشاء في العمارة العراقية القديمة ، مركز إحياء التراث العلمي والعربي ، ١٩٩٠/٢/٢٦، ص٩٦.
٢. بقاعين ، حنا ، والهاشمي ، نسيبة، محاضرات القيت علمه طيلت الصفوف الرابعة في مادة أصالة الفنون ، غير منشورة .
٣. بهنسي ، المصدر السابق ، ١٩٨٢ ، ص٥٢.

وكما يعد عازل حراري مما يلائم طبيعة المناخ العراقي الا أنه يعد من المواد الباهضة الثمن حيث يتميز بأرتفاع كلفته الانتاجية فضلا عن انجاز العمل لصناعة الأجر تتطلب الوقت الطويل وعملية بناءه تتطلب أربعة أمثال الوقت المخصص للبناء باللبن (١)، هذا وفضلاً عن سرعة تقبله للمواد الرابطة في البناء وتقبله

الاصباغ والالوان ومن الجدير بالذكر فأن الأجر يكون على عدة أنواع متميزة في بناء الجدران والدعامات والاكتاف ومنه ما يعد لتغطية الارضيات على اختلاف أنواعها حيث يتطلب ذلك مقاومة أكثر للعوارض الخارجية وتقلبات الجو ، أما النوع الثالث منه فقد خصص للأغراض الزخرفية الهندسية والبنائية وحفر الخطوط العربية (٢)، تتكون عجينة الأجر من الطين بنسبة حوالي (١٣%) وسليكا حوالي (٤٥%) ورمل ناعم (١٧%) ورمل خشن (٨%) ونسب من الاملاح والماء والشوائب العضوية واللاعضوية فضلاً عن العوامل الأخرى التي تؤخذ في رفع جودة الأجر (٣)، وهذا ما وجدناه في دراستنا للمدرسة المستنصرية .

---

١. الدليمي ، المصدر نفسه ، ص٩٨.
٢. التميمي ، عباس علي ، مركز صناعة في محافظة بغداد ، مطبعة الارشاد ، بغداد ، ١٩٧٩ ، ص٤.
٣. لمزيد من التفاصيل ، ينظر : حيدر ، سه رو ، دراسة تطبيقية لحماية الطابوق (المفخور) المستعمل في المباني الأثرية والتراثية في العراق ، التراث والحضارة ، المركز الاقليمي لصيانة الممتلكات الثقافية في الدولة العربية ، بغداد ، ١٩٨٤ – ١٩٨٥ ، ص٢٢٢.

٢. الجص :

يعد الطين أقدم مادة بنائية استعملها الانسان القديم في بلاد وادي الرافدين حيث لا تحتاج الى عمليات معقدة لتحضيرها استعملها مع اللبن كما أشرنا سابقاً بعدها توصل الانسان في بلاد وادي الرافدين الى صناعة الجص حيث لا تتوفر طبقات من الحجر الجبسي في مناطق الشرق ($CaSo_4 . 2H_2O$) والتي تعد المادة الاولية بصناعة الجص ويتم تحضيره بطريقتين الاولى تلوثها والطريقة الثانية بأن تؤخذ الكتل الحجرية بعد أن يتم تقطيعها الى قطع ذات حجوم مناسبة وتنتقل الى مكان الحرق وهو عبارة عن فرن (Kilh) يتكون من حفرة دائرية او شبه ما تكون الى الدائرة تحفر في الأرض ثم تبنى بها الكتل بشكل خلية النحل وتترك فتحة للتزود بالوقود بالاسفل وتفتح فتحة أخرى بالاعلى للتهوية ولخروج الغازات المنبعثة والدخان ويكون الخشب هو مادة الوقود قديماً أما في الوقت الحاضر فقد يكون الفحم الحيواني أو النفط ثم الحرق بدرجة حرارة تتراوح ما بين (١٣٠ – ١٧٠) كما في المعادلة ، لقد أستعمل الجص من تل الصوان حيث طليت بعض الجدران بالجص كما أستعمل في كثير من المدن العراقية القديمة كمادة رابطة (١).

١. الميالي ، رجوان فيصل ، القلاع في وسط وجنوب العراق عمارتها وتخطيطها خلال فترة الاحتلال العثماني ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٩ ، ص١٨٤.

وفي العصر السومري عد الجص من المواد المقدسة بالنسبة للسومريين ، بسبب لونه الناصع البياض واتخذوا السومريين الألهة ننورتا الذي يمثل لهم القوة والضوء والخير ، رمز للجبس (١) ، وأما التركيب الكيميائي لمادة الجص فهو مزيج من عدة مواد أهمها كبريتات الكالسيوم (CaSo4 . 2H2O) وهذه المادة بعد حرقها تعرف بالجبس (٢)، حيث يوجد في الطبيعة على شكل بلورات أبرية ويكون عديم اللون (٣)، وقد أستعمل الجص بشكل كتل في عصر بداية الطبقة الرابعة ومن الجدير بالذكر أن الاكديين أطلقوا عليه لفظة (gassu كصو) التي تعني الجص المستعمل في البناء كمادة رابطة (٤)، تنتقل بعد ذلك الى بلاد مصر حيث أستعمل الجص كمادة رابطة في الاهرامات المصرية (الجيزة) وحضارة زمن المملكة القديمة في البدايات المبكرة للألف الثالث ق.م في الوقت الذي كان أستعماله في بلاد وادي الرافدين في الألف السادس ق.م كما أنتقل بعد ذلك الى بلاد الأغريق (٥) ، ويعد الجص العامل الأساسي في ربط البناء ولصق الأجر بعضه مع البعض الآخر

فتجعل الجص أكثر مرونة حيث يتوزع ضغط البناء بالتساوي فيحفظ الأجر من الكسر تحت تأثير عوامل مختلفة وتسمى مونة الجص المستعمل أفقياً بالحامات الافقية ، أما المونة المستعملة بين الفراغات الرأسية تسمى بالحامات الرأسية (٦)،

---

1. Levey , m. chemistry and chemical techndogyin Ancientmes opotamia , New York . 1959 , 7 – 768.

٢. الدواق ، يوسف ، أنشاء المباني والمواد الأنشائية ، مطبعة الزمان ، بغداد ، ١٩٧٨ ، ص٧٣.
٣. الدواق ، يوسف ، فحص المواد البنائية ، مطبعة شفيق ، بغداد ، ١٩٧٢ ، ص٦١.
٤. باقي ، طه ، من تراثنا اللغوي القديم ما يسمى بالدخيل ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص٧٢.
٥. الميالي ، رجوان ، المصدر السابق ، ٢٠٠٩ ، ص١٨٤.
٦. حماد ، محمد ، الانشاء والعمارة ،ط١، القاهرة ، ١٩٦٤ ، ص٣٨.

أما بخصوص المدرسة المستنصرية التي قمت بدراستها فكلها مبنية بالمادة الرابطة (الجص) حيث يدخل نسبة عالية في ربط الجدران وفي تغطية الواجهات وتغطية الارضيات والسقوف .

٣. الخشب

يعد الخشب من المواد العضوية السريعة التلف أذ ما تعرضت للحراة والرطوبة والمطر تحت الأرض مما يؤدي الى ضياع الكثير منها فضلاً عن العفن وتعريضها للحرائق أو لدودة الأرض أو تنقلها من أماكنها الاصلية (١)، وتعتبر مادة الخشب مادة مكملة في البناء وأستعملت هذه المادة من قبل الانسان منذ أقدم الأزمنة حيث سقف الانسان وحداته السكنية بأغصان الاشجار في عصور ما قبل التاريخ (٢)، والمعروف بأن بلاد وادي الرافدين يقتصر الى الانواع الجيدة من الخشب اذ أقتصر أستعمال جذوع النخل المعروفة بهشاشة ورخوة بدتها لتكوينها من خلايا حشوية اسفنجية (٣)، بالرغم من ضعف جذوع النخيل الى ان المعمار في وسط وجنوب العراق عمد الى عملها شرائح واستعملها في تسقيف الابنية في عصور أور الثالثة (٤).

---

١. الهاشمي ، المصدر السابق ، ١٩٩٥ ، ص١٧٠ – ١٧١.
٢. الدليمي ، المصدر السابق ، ١٩٩٠ ، ص١٠٢.
٣. أدر ، أوال ، المبادئ الاساسية في صيانة المواد العضوية ، ترجمة ، عرفان سعيد ، مجلة التراث والحضارة ، العدد ٥ ، ١٩٨٣ ، ص٦٠ .
٤. الدليمي ، المصدر السابق ، ١٩٩٠ ، ص١٠٢.

في الوقت الذي سقفت المعابد والقصور الملكية بأنواع الخشب الجيدة التي كانت تستورد من خارج البلاد وخاصة خشب الارز المستورد من لبنان (٥)، وأستعملوا الخشب المقطع من البلاد المستعمرة أثناء الحروب،

للأستفادة منها في بناء القصور والمعابد وتزيينها بالعمدة الخشبية في العصور الآشورية أو لبناء السفن التجارية والحربية أو لصنع زوارق الصيد (٦).

أن استعمالات الخشب لم تكن مقتصرة على ما سبق ذكره بل أستعمل في عمل الابواب والنوافذ والأثاث بكافة أنواعها وصولاً الى العصور الاسلامية فقد أستعمل في عهد الرسول (ص) جذوع النخل في بناء المسجد النبوي في المدينة المنورة وكذلك استعمل الخشب في بناء مدينة البصرة وكذلك بناء مدينة بغداد المدورة ، أما المدرسة المستنصرية التي قمنا بدراستها .

---

١. حتي ، فيليب ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ترجمة ، جورج حداد وعيد المنعم ، رافق و مراجعة جبرائيل جبور ، بيروت ، ١٩٩٠ ، ج١ ، ص١٠٥.
٢. أوسكار ، روتير ، بابل المدينة الداخلية (المركز) ، ترجمة ، نوال خورشيد سعيد وعلمه يحيى منصور ، مطابع جامعة الموصل ، ١٩٨٥ ، ص١٧.

الخاتمـــــــــــــة

ظلت المدرسة المستنصرية دهراً طويلاً ، لأتخاذها ما بنيت من أجله ، فبعد أن كانت نبراساً للعلم ، ومورداً لطلابه ، عصفت بها الاحداث ، وحوطت بها الاقدار ، وتداولتها الايدي فحولت من حال الى أحوال ، وجعلت منها معتصم الجيش من العصابات ، ثم خاناً ، ثم دار للمسكن ، بالوجه الذي فصلناه من مجرى بحثنا، وهي في جميع هذه التقلبات كانت في حال يرى لها منها ، فلم يكن يلتفت الى قيمتها الأثارية ، ولا الى الغرض الذي أنشئت له ، فأدى ذلك الى اندراس أقسام منها .

وتسعت غيرها حتى صارت اليوم ، وهي كما يراها الرائي صورة شاحبة هزيلة لتلك العادة الحسناء والتي أطنب المؤرخون في وصفها ، وتغنى الشعراء بجمالها ، ولئن مر بالمدرسة المستنصرية هذا الدور الكئيب المظلم كاد ينقضى ، فالحكومة العراقية ، رأت بعد أنعدام النظر تسليم هذا الأثر العباسي الجليل الى خير من

يمنى به ويلم سعيه ويصون ما تبقى منه ، ويحافظ عليه محافظة الأم الرؤوم على ولدها ، أنها رأت تسليمه (مديرية الآثار القديمة العامة) وهذه المديرية ستستفرغ جهدها في المحافظة على هذا الأثر الشاخص ، وتستعمل ما في وسعها لأعادته الى بعض ما كان عليه أيام مجده ، وهي لعمري أهل لتحمل هذا العبء الكبير ، خاصة بعد أن سبق لها إحياؤها بعض المخلفات الاسلامية في العراق وحياتها من عوادم الزمان وليس (القصر العباسي) في قلعة بغداد و (الباب الوسطاني) ، (خان مرجان) و (منارة جامع الخلفاء في سوق الغزل) وغير ذلك ببعيدة عن أنظار القراء ببغداد ففي وسع كل أن يزور هذه البقايا ليرى بعينه ويلمس بيده الجهد البالغ في احياء معالم هذه الأثار وصونها من عبث الدهر وسيأتي يوم ونرجو الا يكون بعيداً ، نرى فيه المستنصرية قد بعثت فيها العناية أنوار نامت سابقاً ، ونقها وأعادت اليها بعض جمالها ، فتبقى مفخرة الاجيال التي يعتبر بها أبناء اليوم ، ويباهي بها أبناء الغد .

المصادر

١. أبن خلكان ، وفيات الاعيان ، طبعة بولاق ، مصر ، ١٢٧٥ هـ.

٢. الحموي ، ياقوت ، معجم البلدان ، طبعة وتسفتلد في السيك.

٣. أبن الفوطي ، د. مصطفى جواد ، طبعة بغداد ، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة.

٤. الأوسي ، يعقوب سركيس ، مقال ، تاريخ مساجد بغداد وأثارها (ص٩٨ الحاشية) ومقال يعقوب سركيس (المدرسة المستنصرية) في جملة لغة العرب (٦) ، ١٩٢١.

٥. أبن كثير ، إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ) ، البداية والنهاية، ج١٣ ، دار الحديث ، القاهرة ، ٢٠١٢.

٦. الدليمي ، عادل عبد الله ، مواد الانشاء في العمارة العراقية القديمة ، مركز إحياء التراث العلمي والعربي ، ١٩٩٠/٢/٢٦.

٧. بقاعين ، حنا ، والهاشمي ، نسيبة، محاضرات القيت علمه طيلت الصفوف الرابعة في مادة أصالة الفنون ، غير منشورة .

٨. بهنسي، احمد ، المصدر السابق ، القاهرة، رؤية للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٢.

٩. التميمي ، عباس علي ، مركز صناعة في محافظة بغداد ، مطبعة الارشاد ، بغداد ، ١٩٧٩.

١٠. حيدر ، سه رو ، دراسة تطبيقية لحماية الطابوق (المفخور) المستعمل في المباني الأثرية والتراثية في العراق ، التراث والحضارة ، المركز الاقليمي لصيانة الممتلكات الثقافية في الدولة العربية ، بغداد ، ١٩٨٤ ــ ١٩٨٥.

١١. الميالي ، رجوان فيصل ، القلاع في وسط وجنوب العراق عمارتها وتخطيطها خلال فترة الاحتلال العثماني ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٩.

١٢. الهاشمي ، المصدر السابق ، ١٩٩٥ ، ص١٧٠ ــ ١٧١.

١٣. أدر ، أوال ، المبادئ الاساسية في صيانة المواد العضوية ، ترجمة ، عرفان سعيد ، مجلة التراث والحضارة ، العدد ٥ ، ١٩٨٣.

١٤. حتي ، فيليب ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ترجمة ، جورج حداد وعيد المنعم ، ج١، رافق و مراجعة جبرائيل جبور ، بيروت ، ١٩٩٠.

١٥. أوسكار ، روتير ، بابل المدينة الداخلية (المركز) ، ترجمة ، نوال خورشيد سعيد وعلمه يحيى منصور ، مطابع جامعة الموصل ، ١٩٨٥ .